كيف عبرنا الاوقيانوس الاتلنتيكي

اربعة في طيارة

للطيار الاميركي الكومندر رتشرد برد

جاء في الصحف اليومية قبيل كتابة هذه السطور ان طيارين المانيين وطياراً ارلندياً فازوا باجتياز شمال الاوقيانوس الاتلنتيكي من اوربا الى اميركا على متن طيارة المانية تسمى برمن Bremen ؛ وهي اول مرة فاز فيها الطيارون بعبور الجانب الشمالي من هذا المحيط من الشرق الى الغرب . وفي المقالة التالية وصف لبعض المخاطر التي يلاقيها الطيارون في مثل هذه الرحلة. وهي كلمة كلام الكومندر برد الذي نشرناه في مقتطف ابريل الماضي :

٢

الليل مدلهمّ . والغيوم متلبدة حول الطيارين ذاهبة في الجو قمماً جرداء او هابطة اودية مخيفة كأنها افواه الهاوية. وسلامة الطيارة والطيارين رهن الرياح التي علّقوا عليها آمالهم فان هبّت من ورائهم ودفعتهم معها الى الامام تمكنوا من الوصول الى الشاطىء الاوربي قبل نفاد البنزين الذي معهم وكتبت لهم السلامة . وذلك ما كان. فانهم في اثناء الليل اتصلوا بآلتهم اللاسلكية بالبواخر التي كانت تمخر عباب الاوقيانوس على مقربة منهم. فطلبوا الى الباخرة الاولى التي تمكنوا من مخاطبتها ان تطلعهم على حالة الجوّ على سطح البحر فكان جوابها « ضباب : ضباب » . ثم طلبوا الى ربانها ان يبيّن لهم موقعها ففعل. ثم تمكنوا من مخاطبة الباخرة « باريس » وطلبوا الى ربانها ان يبيّن لهم موقعها ايضاً . ومن ذلك تمكنوا ان يعينوا موقعهم بالضبط . فوجدوا انهم كانوا قد انحرفوا جنوباً عن الخط الذي رسموه للجري عليه وبدلاً من ان يديروا مقدم الطيارة حينئذٍ ويتجهوا الى ارلندا كما كان قصدهم اولاً قرروا ان يسيروا رأساً الى رأس فنستر بفرنسا

وبعد ما قاسوا مقدار البنزين الباقي معهم وبسرعة سيرهم بعد مغادرتهم جزيرة نيوفوندلند ثبت لهم ان ريحاً غربية هبّت من ورائهم فدفعتهم معها الى الامام وزادت سرعتهم نحو ثلاثين ميلاً في الساعة . ومع ان البنزين الذي كان باقياً معهم كان كافياً لان

يصل بهم الى رومية لم يقرّروا ان يفعلوا ذلك لان طيّهم كانت باريس فعليهم ان يبلغوها . وكانت الرسائل اللاسلكية من انحاء اوربا قد اخذت ترد عليهم فشمروا وكان العالم باسره ينتظر انباءهم ويريد مخاطبتهم

وفي الوقت الذي قدروهُ وصلوا الى برست على شاطىء فرنسا الغربي ومنها اتجهوا الى باريس بعدما انقضى عليهم يوم كامل لم يروا فيهِ اثراً للياسة . وكان الجوّ حين وصولهم الى شاطىء فرنسا صافياً ولكن الافق كان مليّداً بالغيوم . فارسلوا رسالة لاسلكية الى مطار باريس ليسألوا عن حالة الجو فيها وفي جوارها فجاءهم الردُّ بان الجوَّ مدلهمٌّ ينذر بهبوب عاصفة هوجاء فجزعوا لهذا النبإ لانهم عرفوا ان امامهم معركة شديدة مع العاصفة ولكنهم لم يلبثوا ان سرّوا لهُ لعلمهم ان الفوز في هذه المعركة يجيء برهاناً جديداً على تقدم الطيران وصحة الاعتماد عليهِ فساروا متجهين الى باريس. ولكن البوصلة التي اعتمدوا عليها في تحديد اتجاههم خانتهم لعطل اصابها ولما ظنوا انهم وصلوا فوق مطار لبورجه وانهم رأوا نور منارته يفري الدجى تحققوا ان النور امامهم انما كان نور منارة على شواطئ فرنسا تحذر البحارة وتهديهم

فداروا مقدم طيارتهم واتجهوا الى باريس يخترقون الظلام ولا يبأون بالرياح والامطار حتى خيل اليهم انهم بلغوها . ولكن الرياح والامطار الهاطلة والغيوم المتلبدة منعتهم عن تحقيق موقع مطارها تحقيقاً يمكنهم من النزول فيه . وكان البنزين في احواض الطيارة قد اخذ ينضب رويداً رويداً حتى بلغ درجة صار العقل يقضي معها بوجوب الانكفاء الى الشاطئ ولو كانت باريس قاب قوسين او ادنى . لانهُ اذا نفد البنزين واضطرت الطيارة ان تحط على الارض في هذا الظلام الدامس كان لا مفر من تحطمها وقتلهم . والكومندر برد يظن انهُ حين قرّر العودة الى شواطىء فرنسا كان فوق باريس بدليل ان هدير محركات الطيارة سُمع فيها . ولكنهُ كان مسؤولاً عن حياته وحياة رفاقهِ فلم يشأ ان يعبث بها عبثاً اذا استمرّ انتهى بفاجعة اليمة

ومع ذلك فالقرار على الرجوع لم يضمن سلامة الطيارين لان نزولهم سالمين على سطح الماء في ظلام حالك امر مشكوك فيهِ . ولكن عناصر السلامة في النزول على سطح الماء كانت اوفر من عناصر السلامة في النزول على اليابسة . ولذلك كان قرار العودة الى الشاطىء لا مندوحة عنهُ

واتجهوا الى المنارة التي كانوا قد رأوها ظانين انها منارة لبورجه بباريس فبلغوه

وحاموا حولنا ربما لا يدرون ان تلك اليابسة بالبحر وهل هناك شاطئ وهلي يستطيعون النزول عليه سالمين. ولكن لما دار نور المنارة دورته جلا لهم المكان فتحققوا انهم كانوا فوق البحر وان الخطر لا يزال يهطل غزيراً فعزموا للحال ان ينزلوا على سطح البحر ولكن على مقربة من الشاطئ حتى يتمكنوا من السباحة اليه. على انه كان عليهم ان يبعدوا عنه بعداً يمكنهم من اجتناب الصخور الناتئة حيث الماء فحضاح

وكان معهم اسهم نارية يشعلونها ويرمونها فتضيء بضع ثوان تمكنهم من رؤية ما حولهم فاضاءوا بعضها ووجدوا انهم كانوا على نحو ٩٠ متراً من الشاطئ

وهنا نترك الكلام لنكومندر برد قال:

كانت الساعات التي قضيناها في مصارعة العاصفة حافلة بالوجل والتعب. وكنت اشعر اني مسؤول عن حياة رفاقي. واعتقد انهم لم يزوا في نزولنا على سطح الماء املاً كبيراً في النجاة. ولكنهم بقوا يتلقون الاوامر وينفذونها بشجاعة وصبر رغماً عن اعتقاد بعضهم انهم واردون حتفهم

كان بلخن يسوق الطيارة فاصدرت الاوامر اليه بالنزول الى سطح البحر ونحن نازلون الى سطح الماء كانت رنة المحركات تدل على انها لا تزال سائرة على غاية ماينتظر من الدقة والانتظام بعد مسيرة ٤٢ ساعة فلم املك نفسي من الاعجاب بمتانتها ودقة صنعها رغم الخطر العظيم الذي كان يحيق بنا في آخر مرحلة من مراحل رحلتنا

ولما اقتربنا من سطح الماء لم نرد لاشتداد الظلام فلما مسّت العجلات سطح الماء انبترت من الآلة كأن سكيناً حادة قطعتها قطعاً رغماً عن متانتها من غير ان تهتز الطيارة او ترتج مما يثبت قوة مقاومة الماء لجسم يسير على سطحها سيراً سريعاً

وكأن الصدمة الكبرى حصلت بعد ذلك بثانية واحدة. كنت واقفاً امام النافذة احاول ان انظر الى الماء تحتا فلم اشعر الا وانا في البحر احاول السباحة للنجاة. كان ستار الظلام لا يزال مسدلاً والمطر يهطل غزيراً كثيفاً. وسمعت نوئل يدعوني ثم صمت فكان الكون الذي ساد في تلك اللحظة رهيباً وخصوصاً بعد ما سكنت المحركات التي بقيت ٤٢ ساعة ترن في آذاننا حتى كادت تصمها

اما الطيارة فامتلأت بالماء حالاً. وكأني شاهدت نوئل يخرج من نافذة الطيارة فسألته باعلى صوتي كيف حالته فلم انلق جواباً. فدبّ الوجل الى نفسي وناديت

بلحن واكوستا فلم اسمع جواباً فازداد وجلي . فسبحت الى ناحية الطيارة فوجدت بلحن عالقاً بالطيارة يحاول التخلص منها ولم ار اثراً لاكوستا فظننا انهُ لا يزال في مقعد السائق وكان هذا غارقاً تحت الماء فعمنا لنساعدهُ على الخلاص فلم نجدهُ هناك وفيما نحن نناديهِ من غير ان نتلقى جواباً على نداءاتنا رأيناهُ يسبح الينا كأنهُ طلع من البحر او نزل من السماء. وكان سبب كل ذلك ان صوت المحركات كان قد احدث صمماً موقتاً في اذان رفاقي فلم يسمعوا نداءي. اما انا فكنت قد استعملت ما بقي الاذان من شدة الصوت فبقي سمعي طبيعيًّا

وكان معنا زورق من المطاط نستطيع ان ننفخهُ حين الحاجة اليهِ ولنستعملهُ فسبحنا الى جناح الطيارة وجلسنا عليهِ نحاول نفخهُ . وكانت معنا قطعة في الطيارة من العلم الاميركي الاول فلما حصلنا عليها وضعنا المجاذيف في القارب واتجهنا الى البر

كنا حينئذٍ على مسافة ميل من قرية فير — سير — مير Vers-sur-mer

فلما وصلنا اليها كان السكان لا يزالون مستغرقين في النوم وكل بيت تحيط بهِ حديقة وجدار وفيما نحن سائرون رأينا ولداً ممتطياً عجلة فلما رآنا اسرع في سيرهِ ظنًّا منهُ اننا متشردون

اخيراً وصلنا الى المنارة فوجدنا مديرها وزوجتهُ مستيقظين ولقينا بعض الصعوبة في اقناعهم باننا لسنا مجانين وانا طرنا من اميركا بطيارة نزلنا بها على مقربة منها. وبعد ما استرحنا قليلاً عدنا الى الطيارة لانقاذ الرسائل التي كنا قد حملناها معنا ووعدنا بايصالها الى اصحابها. والظاهر ان المدكان على اعلاهُ حين نزلنا في البحر فلما عدنا الى الطيارة كان الجزر على اوطأهِ فوصلنا الى الطيارة مشياً على اليابسة وخرج بعض سكان القرية فساعدونا . ما عشت لا انسى ما احاطنا بهِ هؤلاء القرويون من العطف والمساعدة وقبل ما غادرنا فرنسا للعودة الى اميركا امتطينا سيارة من باريس وزرناهم لنحييهم تحية الوداع

اما عن حفلات الاستقبال ومظاهر الفرح والابتهاج التي استقبلنا بها الجمهور الباريزي من اصغر الافراد الى اكبرهم واعظمهم مقاماً فلا محل للتبسط فيه هنا . ويكفيني ان اقول ان مثل هذه الرحلات من افعل الوسائل لاحكام روابط المودة والوئام بين الشعوب